

التمثّلات الشعرية عند الإبراهيمي وتوظيفها في خدمة السياق النصي

The poetic representations of El-Ibrahimi and their use in the background of the text context

د. بلقاسم غزّيل

جامعة غرداية (الجزائر)

تاريخ القبول: 2020/03/12

تاريخ الإرسال: 2020/03/02

ملخص:

تزخر النصوص بشتى أنواعها عند الإبراهيمي بزخم هائل من الأبيات الشعرية، ولقد أردنا من لفظة "التمثّلات" جملة الأبيات الشعرية التي كان الإبراهيمي يتخذها سنداً لأفكاره ودليلاً على آرائه، ولقد اطّرحنا لفظة "الشواهد" لأنّ للشاهد النحوي في علوم العربية - كما هو معلوم - وخاصة في علم النحو أحكاماً مصطلحية، وأخرى تتعلق بالخيّز الزماني والمكاني.

وهذا المقال إذاً يتجه صوب التمثّل الشعري الذي يختاره الإبراهيمي لنرى مدى توظيفه لذلك المثل الشعري في خدمة المعنى العام الذي يتوخاه الكاتب من نصه، ومنه ما تمثّل به عند مخاطبته للشباب الجزائري فأورد قول الشاعر:

أحبّ الفتى ينفي الفواحش سمعه كأنّ به من كلّ فاحشة وقرا

ومن شعر المتنبي تمثّل بقوله:

وأهوى من الفتیان كلّ سميذع أرب كصدر السمهيّ المقوم
خطت تحته العيس الفلاة وخالطت به الخيل كبّات الخميس العورم

وما ساقه من شعر أحمد شوقي الذي ينبذ الفرقة ويدعو إلى وحدة الشعب في الوطن الواحد إذ يقول:

إنما نحن مسلمين و قبطا أمة وحدت على الأجيال

وهناك أشعار كثيرة في قمة الروعة و البيان يضمنها الإبراهيمي نصوصه، تنمّ عن دقته وبراعته في اختيار المثال الشعري لخدمة الهدف العام لكتاباته.

من خلال إشكال عام نوجزه في: ما هي سمات التمثّل الشعري عند الإبراهيمي وما مستويات توظيفه في خدمة السياق النصي لديه.

الكلمات المفتاحية: التمثلات، توظيف، النص، السياق، شعرية.

Abstract:

The texts of Al-Ibrahimi have a tremendous momentum of poetic verses. We wanted from the word "representations" the whole of the verses of poetry that Al Ibrahimi - may his soul rest in peace- used to support his ideas and evidence of his views, and we put forward the word "witnesses" because the witness has grammar in science Arabic - as is well known - especially in grammatical terms, terms, and others related to space and time space.

This article, then, is directed towards the poetic representation that Al Ibrahimi chooses to see the extent to which he uses that poetic example to serve the general meaning that the writer seeks from his text.

Keywords: represent, employment, contexte, poetic.

خطة العمل:

عرّفنا بإيجاز بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي وذكرنا بعضاً من مؤلفاته، كما أشرنا إلى محبة الشيخ للشعر العربي، وميله إلى الاستشهاد به والتمثيل به في كتاباته وخطبه، وأوردنا نماذج من شعره. و أما فيما يتعلّق بصلب الموضوع فلقد كنّا نتّبع مقالات الشيخ في كتابين مطبوعين له هما: آثار الإبراهيمي وعيون البصائر. وبعد فهمنا لفكرة المقال، ننظر إلى ما تمثّل به من أشعار فاخترنا مجموعة منها، لأنّ هذه الدراسة لا تكفي للإحاطة بكل ما جاء في الكتابين من أبيات. وبعد استخراج البيت من النص، نقوم بتحريجه وشرحه وعزوه، بعد النظر في مظانّ هذه المعلومات، ومن ثمّ نبرز السياق العام للنص، ونربطه بالشواهد ونتّبع

مدى انسجامهما وخدمة هذه الشواهد لتلك النصوص، كما قمنا بإحالة الأبيات على بحورها الشعرية، وشرح بعض ما ورد من الغريب في هذه الأبيات، و في ختام المقال أوردنا أهم ما توصلنا إليه من النتائج.

يحسن الباحث في مثل هذه المواضيع التي تخص علما من أعلام الفكر والثقافة ليس في الجزائر فحسب بل على مستوى الوطن العربي والإسلامي قاطبة يحسن بنا أن نعرّج ولو باختصار عن سيرة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

ولد العلامة عام 1306هـ الموافق لعام 1889 بقرية أولاد براهيم في ولاية برج بوعريّج و لقد تولّى تعليمه عمّه الشيخ محمد المكي فحفظ القرآن الكريم منذ صغره، ودرس علوم اللغة العربية كما حفظ ألفية محمد بن مالك وألفية ابن معطي النحويّتين، وحفظ الكثير من شعر المتنبي وديوان الحماسة، ولما توفّي عمّه اقتحم التدريس والخطابة وهو في العام الرابع عشر من عمره.

هاجر من الجزائر إلى المدينة المنورة لما ضاقت به الدنيا بسبب ظلم الاستعمار الفرنسي، فاستزاد معرفة من علوم التفسير واللغة العربية والسير والمنطق. كما استقر زمنا في كلّ من القاهرة ودمشق، ولقد حاز على عضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة وهو من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المعروفة بالاهتمام بنشر اللغة العربية وعلومها وعلوم الفقه والشريعة وبسبب معارضته للاستعمار الفرنسي نفته إدارة الاحتلال إلى مدينة (أفلو) فألف فيها ملحمة ناهزت ستة آلاف وثلاثين بيتا. توفّي - رحمه الله - عام 1385 الهجري الموافق 1965 الميلادي. وله كثير من المؤلفات نذكر بعضها منها:

- عيون البصائر
- أسرار الضمائر العربية
- التسمية بالمصدر
- الاطراد والشذوذ في العربية
- شعب الإيمان⁽¹⁾.

● شغف الإبراهيمي بالشعر العربي:

بما أنّ مقالنا يتعلق بالتمثّلات الشعرية عند الإبراهيمي فلا بأس من التنويه إلى محبة الشيخ للشعر والأدب، وإنه شاعر مفوّه فلقد نقل عنه الدكتور خالد النجار في كتابه الذي استخلصه لسيرته نصا كان قد تحدث فيه الشيخ عن نفسه إذ يقول: "...وأحفظ الكثير من شعر أبي عبد الله بن خميس التلمساني شاعر المغرب والأندلس في المائة السابعة، وأحفظ معظم رسائل بلغاء الأندلس مثل ابن شهيد، وابن برد، وابن أبي الخصال، وأبي المطرف ابن أبي عميرة، وابن الخطيب. ثم لفتني عمي إلى دواوين فحول المشاركة، ورسائل بلغائهم، فحفظت صدراً من شعر المتنبي، ثم استوعبته بعد رحلي إلى المشرق، وصدراً من شعر الطائيين وحفظت ديوان الحماسة، وحفظت كثيراً من رسائل سهل بن هارون، وبديع الزمان"⁽²⁾.

ومن خصائص شعر الإبراهيمي أنه شعر موصول بحال متينة بالتراث العربي الأصيل وأنه قال الشعر في كثير من المناسبات وغير المناسبات إلا أنه وفي حدود علمنا أنه لم يقصد الشعر قصدا ليفرد ديوانا خاصا به ولا جمع له شعرا يحمل اسم ديوانه وكأنه في ذلك يعلن للناس أنه ليس شاعرا متمحضا للشعر وإنما يتعاطاه كما يتعاطاه محبو الشعر ولعلّه كان في ذلك متأثرا بالإمام الشافعي إذ يقول (من الوافر):

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن شغف الإبراهيمي بالشعر أن نذكر نماذج من شعره المنشور، ومن ذلك ما نجده في عيون البصائر عن ذكرى الثامن من ماي الفظيعة، يقول (من مجزوء البسيط)⁽³⁾:

ذكراك يا يوم تحزّ في الأحشا
إذا أقبل القوم وحش تلا وحشا

ومن شعره الاجتماعي السياسي الذي يكشف تقلّب نظرة الاستعمار وعملائه له يقول (من الطويل)⁽⁴⁾:

سكت فقالوا هدنة من مسالم وقلت فقالوا ثورة من محارب
وبين اختلاف النطق والسكت للنهي مجال ظنون واشتباه مسارب
وما أنا إلا البحر يلقاك ساكنا ويلقاك جياشا مهول الغوارب

وبعد هذه الإطلالة المختصرة على محبة الشيخ للشعر العربي وعلى مستويات شعره الرفيعة نتوجه بمقالنا نحو مناقشة الإشكالية التي وطّأنا بها ملخصنا ولا بأس من التذكير بها وهي: ما هي سمات التمثّل الشعري عند الإبراهيمي؟ وما مستويات توظيفه في خدمة السياق النصي لديه؟.

وسنقوم بتتبع هذه التمثلات التي كان يسوقها الشيخ الإبراهيمي في ثنايا خطبه ومقالاته بتصنيفها إلى المعنيين بها حتى نقف مليّا عند سياقات النصوص، ونستنتج توظيف الشيخ لها ومدى إفادتها للمعنى العام المراد تبليغه. وبعد اشتغالنا بهذه النصوص توصلنا إلى أصناف من يتوجّه لهم الشيخ بهذه التمثلات في الأساس هي الإدارة الإستعمارية بصفة خاصة، وقد يوجّهها إلى عملاء الاستعمار أو الخانعين الذين رضوا بالأمر الواقع فوقفوا موقف الحياض من قضية استقلال الوطن والدفاع عنه أو لربما وقف بعضهم موقف المساند لهذا الاستعمار بالتصريح حيناً وبالتلميح حيناً آخر، كما كان يعني بهذه التمثلات، أطيف الشعب الجزائريين من مثقفين ومواطنين عاديين، ولقد وجدناه يركّز كثيراً على الشباب الجزائري فيطلق العنان لتلك النصوص الشعرية في مقامات النصيح والتحريض ضد الاستعمار والحفاظ على الوحدة الوطنية، بالإضافة إلى المناسبات الدينية والوطنية فلقد كان يضمّن مقالاته المتعلقة بهذه المناسبات نصوصاً شعرية مفعمة بالتوجيه والإرشاد، وأمّا قضايا الأمة العربية والإسلامية، فلم تكن أقل اهتماماً من قبل الشيخ إذ إنّه خصّها بكثير من خطابات الطافحة بتمثلاته.

وعليه فإنّ مقالنا سيقارب هذه النصوص المتمثّل بها من خلال تمييزنا بين الرسالة إليهم من قبل الشيخ وفق ما يأتي في هذه السطور:

- تمثّلات موجهة للإدارة الاستعمارية ومن مشى في ركبها:

نشرت جريدة البصائر في عددها الثالث الصادر سنة 1947 مقالا للشيخ تحت عنوان: "جمعية العلماء موقفها من السياسة والساسة". ومما نستخلصه من هذا المقال ما ذكره الإبراهيمي من آراء للإدارة الاستعمارية والسياسيين المنضوين تحتها ثم موقف فئة من

الشعب كانت تناصب الجمعية العدا، فعن الاستعمار يكتب: "يقول عنها الاستعمار في معرض التبرم بها والتسخط عنها: إنها جمعية سياسية في ثوب ديني، وإنها تستر القومية بستار الدين، وتخفي الوطنية بخفاء العلم والعريية"⁽⁵⁾. ثم يقول عن الساسة الجزائريين المنخرطين في سياسة الاستعمار: "ويقول عنها ساسة الانتخاب منا والمسحورون بكراسي النيابات، أقوالا تختلف باختلاف أهوائهم فيها..."⁽⁶⁾. و أخيرا يخاطب من لا يروق لهم خطّ الجمعية الإصلاحية: "ويقول آخرون... إنها تدخلت في السياسة وما ينبغي لها، لأنها لا تحسن السياسة ولا تنطق بلسانها، لسان السياسة أعجمي، ولسانها عربي مبين"⁽⁷⁾. ويتمثل بهذا البيت بعد أن يقول وجمعية العلماء تقول لهؤلاء مجتمعين: (من الطويل)

تجمعتُم من كل صوب و تلة على واحد لازلت مُقرن واحد.

تخريج البيت وشرحه:

بحثنا عن قائل هذا البيت فوجدناه في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وقد ذكر باقتضاب، قصة البيت فهو لبنت الشاعر عدي بن الرقاع، ردّت به على نفر من الشعراء أرادوا مجتمعين هجاء والدها فلم يجدوه بمنزله، فقالت لهم هذا البيت وكانت صغيرة السنّ فكفّوا عن هجاء والدها وانصرفوا⁽⁸⁾.

إنّ المعنى العام لهذا المقال هو رفض الشيخ لهذا التجيّي الصارخ على جمعية العلماء لأنها كانت تحمل هموم الشعب الجزائري وتكافح الاستعمار بغية إجباره على الاعتراف بحقوق الجزائريين، لذلك فإنها لم تسلم من عدا بعض أصحاب الآفاق المحدودة، من المثقفين الجزائريين الطامعين في فتات الاستعمار ومن عامة الناس الذين رضوا بالخنوع ولا عجب من كره الفرنسيين للجمعية ولكن العجب في كره صنف من الجزائريين لها، والأعجب أن هؤلاء جميعا اجتمعوا على عرقلة الجمعية، وإذا رمنا البحث عن مدى خدمة هذا التمثّل للمعنى العام للنص فأول ما يصادفنا مادة (جمع)، فعنوان المقال يبدأ ب: (جمعية)، والجملة الأولى فيه لم تخل من مادة (جمع) فجاءت هكذا: "للسياسة في جميع بلاد الله، وعند جميع خلقه معنى محدود..."⁽⁹⁾ ثم يقول قبيل الاستشهاد بالبيت مستعملا مادة (جمع): "ثم يلتقي هؤلاء جميعا مع الاستعمار..." [إلى قوله] وجمعية العلماء تقول لهؤلاء مجتمعين...⁽¹⁰⁾ ويبدأ

البيت ب: تجمعهم ...، فالسياق العام للمقال أن أصنافا متناقضة اجتمعت على بغض الجمعية ليردّ عليهم بأن الجمعية كذلك أمرها في إجماع مقابل إجماع معارضيهما ولقد وظّف الشيخ هذا البيت توظيفاً دقيقاً وذاك ما يعرف بحسن الاستشهاد. جاء في كتاب الصناعتين: "وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي به بمعنى ثم تؤكّده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته" (11).

التمثّل: "حتى على الموت لا أنجو من الحسد".

تخريج الشطر وشرحه:

استشهد الشيخ بهذا الشطر في مقال عنوانه: "إلى الأعضاء المسلمين بالجلس الجزائري" والذي نشر في العدد الثالث والثلاثين من جريدة البصائر سنة 1948. والمعنى العام للمقال هو خطاب موجّه للجزائريين الذين انتخبوا أعضاء بالجلس الجزائري بعد ترميز الإدارة الاستعمارية لدستور 1947 المعروف بأنه لم ينصف الجزائريين بل كرّس لبقاء الاستعمار، والشيخ يخاطبهم على أساس أنهم مجرد أعضاء وليسوا نواباً حقيقيين لأنهم من إفرازات هذا الدستور الجائر ومع ذلك فهم متنافسون حوله، متشاكسون دونه فيستخدم هذا الشطر على سبيل تعييرهم ولومهم على ما هم عليه. ولقد بحثنا فوجدنا البيت ليزيد بن معاوية من قصيدة مطلعها: (البسيط)

نقشاً على معصمٍ أوهت به جلدي نالت على يدها ما لم تنله يدي

ما استشهد به الشيخ كان عجزاً للبيت الأخير من هذه القصيدة وصدره:

"إن يحسدوني على موتي فوا أسفي"

فيغدو البيت كاملاً هكذا: (البسيط)

إن يحسدوني على موتي فوا أسفي حتى على الموت لا أنجو من الحسد

ومما جاء قبل هذا البيت في المقال: "وبين تنازع الأحزاب ومعاكسة الحكومة ولد هذا الدستور الأبر الذي أنتم ومجلسكم من ثمراته. ولم يوجد في الدنيا شيء يجمع بين كونه

مسخوطا عليه كأنه نعمة، ومحسودا عليه كأنه نعمة إلا هذا الدستور، فما أشبه هذه الأمة بقول القائل...⁽¹³⁾.

ومن هنا تتجلى لنا عبقرية الشيخ في توظيف الشاهد لخدمة غرضه العام لنصه، فهذا الدستور الاستعماري وما ترتّب عنه كأنه الموت الزؤام ومع ذلك فالناس يتحاسدون ويتباغضون في سبيله.

التمثّل ب: (البسيط)

والناس أكيس من أن يحمّدوا رجلا حتى يروا عنده آثار إحسان

تخريج البيت وشرحه:

جاء في لسان العرب لابن منظور: "الكيس العاقل، أكيس أي أعقل"⁽¹⁴⁾، فالكيس هو العاقل والأكيس هو الأعقل. وقد بحثنا عن هذا الشاهد فوجدناه بيتا من قصيدة لأبي بكر الخوارزمي، مطلعها: (من البسيط)⁽¹⁵⁾

طلعت بعدك مدح الناس كلّهم فإن أراجع فإنّي محصن زاني

ساق الإبراهيمي هذا الشاهد في مقال عنوانه: (حدّثونا عن العدل فإننا نسيناه) والذي نشر في العدد الحادي والعشرين بعد المئة من جريدة البصائر سنة 1950. ومما جاء فيه: "من أين نلتمس العدل؟ أمن فرنسا الاستعمارية؟ إنّ فرنسا اثنتان: تلك التي ينمجد التاريخ بصحائفها البيضاء في العلم والعرفان.. وأما فرنسا الثانية التي التقى تاريخها بتاريخنا من سنة 1830 إلى الآن فهي التي عرفناها فاتحة بالسيف، حاکمة بالحيف..."⁽¹⁶⁾.

ولقد كان هذا الشاهد متوسطا بين قولين للشيخ: "أفلا يعذرنا العقلاء إذا أنكرنا كل فضيلة تتسم بها، أو يسمها المفتونون بمدنيّتها، المسبّحون بحمدها [ثم يورد البيت و يواصل قوله] تريدنا فرنسا على أن نحمدها بما لم تفعل، فنقول: عسى و لعل..⁽¹⁷⁾".

إذا فالخطاب موجّه لفرنسا الاستعمارية، والسياق العام لهذا الخطاب هو أنّ الشيخ يذكّر فرنسا بأنّها لم تمارس على الشعب الجزائري سوى أنواع المكر والخداع والإذلال، وأنّها و إن تشدقت بأنّها بلد: (الحرية والأخوة والمساواة) فالشعب الجزائري لم ير منها إلا أضداد

هذه المعاني، من استعباد وتفرقة وعنصرية، وفي الوقت نفسه تدعي أنّ الجزائر مدينة لها بأشياء جميلة... بل وتريد من الجزائريين أن يعترفوا بهذا السراب الذي تراه فرنسا ماء، ولكن هيهات هيهات فالشعب الجزائري كيّس فطن لا تنطلي عليه ترّهات فرنسا وفي هذا السياق يتمثل الشيخ بهذا البيت الذي ينفي دعاوي الأفّاكين القائلين بأن الاستعمار جلب بعض النفع للجزائر. وقول الشيخ: تريد فرنسا أن نحمدها بما لم تفعل. يتوافق مع الآية الكريمة: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرُحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَزُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعِزَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽¹⁸⁾.

توظيف هذا الشاهد في خدمة المعنى:

بعدما قدمناه حول هذا التمثّل تبين لنا كيف كانت الإدارة الاستعمارية تتعامل مع الشعب الجزائري وكأنّه لا يعرف حقيقتها ولا يفهم نواياها القبيحة فيرد الإبراهيمي عليها بأنها بإزاء شعب أكيس أي عاقل لا يمكنه أن يرى الظلام نورا أو التراب تبرا.

من التمثّلات الموجهة للأمة العربية والإسلامية لتذكيرها بقضاياها، أورد الشيخ هذا البيت: (من الوافر)

وكونوا حائطا لا صدع فيه وصفا لا يرقع بالكسالى

تخريج البيت وشرحه:

تمثّل الشيخ بهذا البيت في نهاية مقال له يخاطب به الأمة الإسلامية ويدّكرها بقضية فلسطين، وقد نشر في العدد الخامس من جريدة البصائر سنة 1947. وكان عنوانه: (فلسطين تصوير الفجيرة) وجاء في مستهلّه: "يا فلسطين إنّ في قلب كلّ مسلم جزائري من قضيتك جروحا دامية، وفي جفن كلّ مسلم جزائري من محتك عبوات هامية..."⁽¹⁹⁾.

وبعد البحث تبين لنا أن البيت من شعر البشير الإبراهيمي، ولقد أورد هذا البيت الشيخ عبدالرحمن شيبان - رحمه الله - في مقال له بعنوان: خصائص أدب الإبراهيمي.⁽²⁰⁾

جاء في مختار الصحاح: "الحائط واحد الحيطان، وحاطه: كالأه و رعاه"⁽²¹⁾. فهذه اللفظة تحمل معنى الرعاية والحفظ وفق ما جاء في مختار الصحاح.

وإنّ البيت الذي ذكره الشيخ جاء في سياق تذكير الأمة بقضية فلسطين التي هي قضية العرب والمسلمين على حدّ سواء فهي إذا دعوة للأمة أن تتوحد وأن تنبذ التحالف والتشرذم ولأنّ الأعداء توخّدت كلمتهم وقويت عزيمتهم فهو يطلب من الأمة اتحاداً أقوى وعزيمة أمتن.

توظيف هذا البيت في خدمة المعنى:

إنّ ألفاظ البيت ومعانيه كلّها عبارة عن بناء محكم رصين لا شقوق فيه ولا فطور ففيه: حائطاً، لا صدع فيه، لا يرقّع... ولقد توافق هذا المعنى مع الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا لَأُتَاهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾⁽²²⁾.

ومن روائع الشواهد الموجّهة للأمة كذلك هذان البيتان: (من الكامل)

ومحرّق عنه القميص تخاله وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا رفع اللواء رأيته وسط الخميس على اللواء زعيما

تخريج البيتين وشرحهما:

أورد الإبراهيمي هذين البيتين في مقال عنوانه: (فلسطين... أما عرب الشمال الإفريقي) ولقد نشر هذا المقال في العدد الثلاثين من جريدة البصائر سنة 1948.

وأما السياق الذي تمثّل فيه الشيخ بالبيتين فهو مدحه لأبناء فلسطين الذي يبلون بلاء حسناً في الدفاع عن وطنهم ومقدساتهم ولئن كانت هي مقدسات العرب والمسلمين كافة إلا أنّ الاستعمار الفرنسي قد استبدّ بشعوب شمال إفريقيا ومنهم الشعب الجزائري فحرمهم شرف الدفاع عن فلسطين بل هو موغل في الحيلولة بينهم وبين أية مساعدة يسدونها للشعب الفلسطيني، ومع ذلك فالشيخ يحذوه الأمل في أن يحقق الفلسطينيون لوحدهم المعجزات في مقارعة الغاصبين لأنهم في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس، ولقد تبدو عليهم في السلم مخايل الهدوء والتواضع والميل إلى المسالمة، بيد أنّهم في الحرب يكونون أسوداً في وجه الغزاة لا يرضون بغير النصر أو الشهادة، وفي هذه المعاني نختار مما قاله: "أما عرب الشمال الإفريقي فهم عرب ولا فخر، وواجههم في إنقاذ فلسطين هو واجب العرب مع

اعتبار العذر...⁽²³⁾. ثم يقول قبيل الاستشهاد البيتين: "وليس [فلسطين] في حاجة إلى رجالنا، فلها من أشبالها ومن والاهم عديد الحصى.... استمدوا الجزيرة فأمدّهم بكل مصداق لقول القائلة .."⁽²⁴⁾. وبعد ذلك أورد في هذا السياق البيتين.

ولقد قمنا بالبحث بغية تخريج البيتين وعزوهما فوجدناهما للشاعرة ليلي الأحيلىة من قصيدة قالتها في مدح آل مطرّف العامرين ومطلعها:

لما تخيلات الحمل حسبتها دوما بأيلة ناعما مكموما

وبعد عشرة أبيات بالضبط يأتي البيتان المستشهد بهما:

ومخرق عنه القميص تخاله وسط البيوت من الحياء سقيما
حتى إذا رفع اللواء رأته تحت اللواء على الخميس زعيما

ولقد روي البيت الأول في الديوان كما أورده الشيخ بالألفاظ أنفسها، غير أنّ عجز البيت الثاني جاء فيه بعض التغيير: "تحت اللواء على الخميس زعيما".

ومعنى البيتين باختصار هو: أنّ الشاعرة تمدح رجلا يظهر للناس متواضع الهندام مهلهل الثوب في بيته أمام أهله وعياله، حتى يخاله ناظره كأنه مريض من شدة إطراره وحيائه، و لكن إذا جدّ الجد وكانت الحرب يراه الناس رأي العين متوثبا غير هيّاب، يحمل اللواء وهو في صدارة الخميس العرمم⁽²⁵⁾.

إفادة هذين البيتين للسياق النصّي:

لقد علمنا في المبحث السابق إيمان الشيخ بعرقية الشعب الفلسطيني، وفي الآن نفسه يعتذر له نيابة عن الشعب الجزائري لا عن تقاعس أو تفريط - معاذ الله - و لكن لأنهم أقعدهم عن ذلك عذر قاهر ألا وهو الاستعمار فجاء بيتا الشاعرة ليلي الأحيلىة ليؤكد هذا المعنى على قدرة الفلسطينيين ومن جاورهم من شعوب الجزيرة العربية على افتكاك الحقوق وصناعة النصر، ولقد كان اعتذارا مقبولا جدّا ذاك الذي قدّمه البشير الإبراهيمي لأنّ فرنسا لا ترضى بحرية الجزائر، ولقد ذكرنا هذا الاعتذار باعتذار كان قد قدّمه الشاعر السّوري سليمان العيسى للشعب الجزائري أيام الثورة، ولكون الشاعر بعيدا عن أرض

الجزائر الطاهرة، وليس بوسعه تسطير روائع النصر فهو يكتفي بالاعتذار والتحريض على الثورة إذ يقول: (من الخفيف)⁽²⁶⁾

ألف عذر ساحة المجد يا أر ضي التي لم أضّمّها يا جزائر
بيديك المصير فاقتلعي اللبّ ل وصوغيه دافق التّور باهر

فالشعب الفلسطيني جدير بالمدح لأنه جدير بالثورة وإن أبدى شيئا من الهدوء والاطمئنان، وهذان البيتان يتوافقان مع قاله العباس بن مرداس في وصف الرجل النحيف الشجاع: (من الوافر)⁽²⁷⁾

ترى الرّجل النحيف فتزدرّيه وفي أثوابه الأسد المصور

من التمثّلات الموجّهة للشباب الجزائري بوجه خاص: (من الطويل)

أحبّ الفتى ينفي الفواحش سمعه كأنّ به من كلّ فاحشة وقرا

ومنها أيضا: (من الطويل)

وأهوى من الفتيان كلّ سميذع أرب كصدر السمهيّ المقوم
خطت تحته العيس الفلاة وخالطت به الخيل كبّات الخميس العرمم

تخريج البيت الأوّل وشرحه:

استشهد الإبراهيمي بهذا البيت في مقال عنوانه: (الشّاب الجزائري كما تمثّله لي خواطري). ونشر في العدد الخامس من جريدة البصائر سنة 1947. ولقد استهلّ مقاله بما نصّه: "أتمنّله متساميا إلى معالي الحياة، عرييد الشباب في طلبها طاغيا عن القيود العائقة دونها، جامحا عن الأعنة الكابحة في ميدانها...."⁽²⁸⁾.

وفي ختام مقاله يقول: "أحبّ منه ما يحبّ القائل". ولقد جاء هذا البيت في سياق نصح الشباب الجزائري من خلال تصوير مكونات آمال الشيخ حيال هذا الشباب فهو يريد طالباً لمعالي الأمور، نافرا عن سفاسفها، شجاعا ليس فيه طيش وحذرا ليس عن تردّد وخوف، كما يبتغيه مصاحبا لدور العلم والعمل لا متكاسلا في المقاهي وقوارع الطرق. وفي هذا الجوّ من النصح الممزوج بالتفاؤل و الحذر يورد البيت: "أحبّ الفتى....."

لقد بحثنا عن قائل هذا الشاهد فوجدناه للشاعر سالم بن وابصة الأسدي وهو تابعي من شعراء بني أمية.⁽²⁹⁾

ومعنى البيت أن الشيخ يحبّ من الشباب من تتوفر فيهم صفة الوقار والعفة يطرح استماع الفاحش من القول، والفاجر من الكلام، كأنّ له أذنين جبلتا على عدم سماع اللغو.

توظيف الشاهد في المعنى:

لاشكّ في أن هذا البيت ينسجم تماما مع ما سبق من معان قبله، فلقد كان الشيخ يدعو الشباب إلى العلا والثبات والعلم والعمل ومحبة الخير لكل الناس وعلى البعد كلّ البعد عن خلاعة المدنية التي جلبها الاستعمار، ولن يتأتّى للشباب ذلك إلا إذا كانت جوارحه مصونة عن كلّ ما يחדش كرامتها، ومن ذلك صون الأذن عن سماع كلّ صوت ذميم.

تخريج البيتين اللاحقين وشرحهما:

وبعد الشاهد السابق يورد الإبراهيمي مباشرة البيتين:

وأهوى من الفتيان كلّ سميذع أريب كصدر السمهريّ المقوم
خطت تحته العيس الفلاة وخالطت به الخيل كبات الخميس العرمم

وسبقهما بقوله: وأهوى منه ما يهوى المتنبي، بهذا كفانا الشيخ عناء البحث عن قائلهما، غير أنّ المنهج العلمي يقتضي التحقق من المصدر، فلقد وجدنا البيتين في ديوان المتنبي، ينتميان إلى قصيدة عنوانها: فدى لأبي المسك الكرام، والتي مطلعها: (من الطويل)
فراق ومن فارقت غير مذمم وأمّ ومن يمتّ خير ميمم⁽³⁰⁾

ولقد احتوى البيتان على بعض الغريب يحسن بنا شرحه:

السميذع: " السيد الكريم، الشجاع"⁽³¹⁾

أريب: " الإرب: العقل و النعت من الإرب أريب"⁽³²⁾

السمهري: " القناة الصلبة، يقال رمح سمهري"⁽³³⁾

والخميس العرمم: هو الجيش الكامل الجهات الكثير العدد.

خدمة البيتين للسياق العام للنص:

لقد أشرنا في التمثّل السابق إلى المعنى العام والذي فيه نصّح وإرشاد للشباب الجزائري، ومن دلائل الانسجام أنّ البيت في الشاهد السابق بدئ بلفظة: (أحبّ) والبيت الأول في الشاهد اللاحق بدئ بلفظة: (أهوى)، وإذا رمنا الاستزادة من معرفة توظيف هذا الشاهد للمعنى العام للمقال، فإننا نلاحظ أنّ بيتي المتنبي يحملان عددا من معاني الفتوة والشجاعة، ورجاحة العقل، وعدم التهور، والمعرفة بأسباب القوة والأخذ بها ومعظم هذه المعاني يوجد ما يقابلها في مقال الشيخ، ومن ذلك: مقداما، في غير جبن، في غير تهور مقبلا على العلم ...

نتائج البحث:

- بعد هذه الوقفات مع نصوص الإبراهيمي والتمنّ في سياقاتها، وبعد النظر في بعض ما ساقه من شواهد وتمثّلات شعرية يمكننا ذكر بعض النتائج التي أثمرها هذا العمل ومنها:
- إنّ الإبراهيمي شغوف بالشعر لأنّ الشعر ديوان العرب الذي خلّدت فيه مآثرهم.
 - الشواهد التي يختارها في معظمها من الشعر العربي القديم المتميّز بجزالة العبارة وقوة المعنى.
 - هناك أربعة أصناف يتوجّه إليهم الإبراهيمي بهذه التمثّلات وهم:
 - * تمثّلات تخص المستعمرين.
 - * تمثّلات تتعلق بالخانعين الذي رضوا بالاستعمار و استسلموا له.
 - * تمثّلات يقصد بها الأمة العربية والإسلامية بصفة عامة.
 - * تمثّلات يعني بها الشباب الجزائري بصفة خاصة.
 - تبدّى التأثير بالأسلوب القرآني واضحا، وهو ما ظهر جليا في تلك النصوص.
 - كانت المعاني وسياقاتها تتغير بحسب الصنف المقصود؛ ففي شواهدة للاستعمار لم تكن تخلو من نبرة التحدي والوعيد، وأمّا المتعلقة بالعملاء فكانت تدور حول الأسف أحيانا والازدراء أحيانا أخرى، وللأمة العربية والإسلامية وجدنا معانيّ التفاؤل والأمل ماثلة في الأشعار الموجهة إليهم. أما الشعر المقصود به الشباب الجزائري، فكانت أفكاره طافحة بالنصح والإرشاد، واستنهاض الهمم.

الهوامش والإحالات

- (1) - ينظر، المجمعون العرب، محمد علام، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1406هـ 1986م، ص 244.
- (2) - محمد البشير الإبراهيمي، خالد النجار، شبكة الألوكة، يوم 16 جانفي 2019 الساعة 23:41
- (3) - عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، ص 359.
- (4) - www.marefa.org يوم 19 جانفي 2019 الساعة 22:01
- (5) - عيون البصائر، ص 31.
- (6) - المصدر نفسه، ص 32.
- (7) - المصدر نفسه، ص 32.
- (8) - ينظر، الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تح: محمد شاكر، دار الآثار، مصر، 1431هـ/2010م. ط 1، ج 2، ص 517.
- (9) - عيون البصائر، ص 30
- (10) - المصدر نفسه، ص 33.
- (11) - كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تح: سليمان عبد العزيز، المكتبة التوفيقية، مصر 2012، دط، ص 401.
- (12) - الموسوعة الشعرية. www.adab.com 22 جانفي الساعة 22:17.
- (13) - عيون البصائر، ص 189.
- (14) - لسان العرب، ابن منظور، تح: ياسر سليمان ومجدي فتحي، المكتبة التوفيقية، مصر، دت دط، ج 12، باب الكاف، ص 221.
- (15) - الموسوعة الشعرية. www.adab.com 23 جانفي.
- (16) - عيون البصائر، ص 404.
- (17) - المصدر نفسه، ص 405
- (18) - آل عمران، الآية 188.
- (19) - عيون البصائر، ص 483.
- (20) - موقع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، 23 جانفي، الساعة 22:08.

- (21) - مختار الصحاح: الرازي، تح: أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، لبنان، دط، 1426هـ. 2005م، حرف الحاء، ص 89.
- (22) - الصف، الآية 04.
- (23) - عيون البصائر، ص 511.
- (24) - المصدر نفسه، ص 515.
- (25) - ينظر، ديوان ليلى الأخيلى، تح: خليل إبراهيم العطية وجيل العطية، سلسلة كتب التراث دط، د/ت، ص 110.
- (26) - ينظر: www.adab.com يوم 24 جانفي 13:21.
- (27) - ولقد وجدناه منسوباً مرة لربيع الرقي وثانية لكثير عزة. الموقع نفسه.
- (28) - عيون البصائر، ص 578.
- (29) - ينظر، مجلة الرسالة، العدد 790، وبوابة الشعر، نسخة إلكترونية، يوم 24 جانفي 2019 على 14:05.
- (30) - ديوان المتنبي، دار بيروت لبنان، 1403هـ/1983م، د/ط، ص 459.
- (31) - المعجم الكافي، محمد خليل الباشا، شركة المطبوعات، بيروت، لبنان، 1994م، ط 3، حرف السين، ص 566.
- (32) - معجم المقاييس في اللغة، ابن فارس، تح شهاب الدين عمرو، دار الفكر، لبنان، دت، دط، باب الهمزة، ص 70.
- (33) - مختار الصحاح، سابق، حرف السين، ص 160.